(44)- احتفال سنوي يقام باسم أحد أولياء اللّه الصالحين، جلبا لبركته ودفعا لضرره، مفرده زردة.
(45)- بمعنى شيوع ذكر الشخص.
(46)- م.خ، المصدر السابق.
(47)- المصدر السابق، والتسطير خاص.
(48)- الكومين : تحريف لكلمة **Terre communale** أي الأراضي التابعة للبلدية.
(49)- بوعلام ابن الزرقة، "يوم الكراء"، الصباح، 15 أفريل 1956، ص 03.

معركة جبل المناور[1] (05-06 سبتمبر 1957م).

أ./ عدة بنداهة

تمهيـــد: نظرا لما أحدثته من تغيير و ما تركته من آثار محسوسة علي صعيد المحيط الذي شبت فيه، فقد اعتبرت معركة جبل المناور (05-06/09/1957) حلقة فاصلة في تاريخ الثورة التحريرية (1954_ 1962)، إلا أنه مقارنة مع مثيلاتها من المعارك الكبرى التي شهدتها ثورة أول نوفمبر 1954، والتي برزت فيها براعة مجاهدي جيش التحرير الوطني في مجالي التكتيك والإستراتيجية الثوريين، فأن هذه المعركة لم تنل حقها من العناية والاهتمام اللازمين.

ومع الصعوبات التي يطرحها البحث أمام الكتابة التاريخية العلمية الجادة عن حوادث الثورة التحريرية، فإنه قصد التعرف علي ثبات وصدق ماقيل عن هذه المعركة، فأنه قد تم الإعتماد في هذه الدراسة على ثلاث أدوات:

أولا: الخريطة التوبوغرافية للمنطقة: لأنها تبرز الأهمية الجيوستراتيجية للموقع في حالتي الدفاع أو الهجوم، وتبين ظواهر وأشكال التضاريس، كما تحتوي بيانات لا نجدها في غيرها من الخرائط المطبوعة، كالحدود الإدارية والإقليمية والمواصلات بأنواعها ومراكز التجمع السكاني، و الشبكة المائية والغطاء النباتي ...

ثانيا: الزيارة الميدانية لموقع المعركة: حتى يقف الباحث على جواب يؤهله لفهم سير المعركة لابد من زيارة موقعها، خاصة وأن المكان مازال يحتفظ بحطام الطائرات التي أسقطها جيش التحرير الوطني، وكذلك بقايا الخراطيش، وآثار

---

* أستاذ مكلف بالدروس في التاريخ الحديث والمعاصر-معهد التاريخ-م.ج. معسكر.

القصف والحرائق، وتدمير القرى المجاورة، و بهذا الجبل يمكن للزائر أن يرى ويشاهد المخابئ الطبيعية التي مازالت على صورتها كما أن الزيارة الميدانية والإستطلاعية لمكان المعركة تمكن الدارس من التعرف على خط سير العساكر والآليات الحربية، وتسمح بالوقوف على المقبرة التي تجمع رفات إثنين وخمسين (52) شهيدا، وأيضا على حطام الطائرات، وبقايا الآليات، والرصاص المنغرس في سفوح الجبل، وكذلك بالتعرف بسهولة على نوع السلاح الذي استخدمه الطرفان في المعركة، وبتقدير القوة التي أعدها الإستعمار لسحق فصائل جيش التحرير الوطني والتي قدرها شهود عيان بعشرين (20) حتى خمسة وعشرين (25) ألف عسكري إستعماري، مقابل كتيبتين إثنتين من جيش التحرير الوطني، ومن ثم تقدير الخسائر المادية والبشرية.

ثالثا: المقابلة والحوار: لمعرفة أسباب المعركة وأدوارها ونتائجها وعدد الفصائل التي شاركت فيها من الجانبين المتحاربين، ومن هم قادتها، وما نوع السلاح الذي أستخدم فيها لابد من الرجوع إلى الذين شاركوا فيها أو شاهدوها، وكثير منهم مازال على قيد الحياة، ممن يعرفون تفاصيلها، إلا أن مشاكل كثيرة تعترض السائل، منها: التغيرات التي طرأت على الأشخاص بفعل عوامل اقتصادية واجتماعية، أو سياسية أو ثقافية، وكذا عامل الذاكرة وأثر النسيان اللذان يغلبان على دقة المعلومات وصحتها،

إضافة إلى اصطباغ المعلومات بأصباغ وإنطباعات ذاتية، الأمر الذي يضطر الباحث إلى إخضاع الشهادات للتحليل والنقد والموازنة، وعن طريق الحوار تحقق أن جنودا سنغاليين كانوا ضمن القوات الإستعمارية، وأن السرب الواحد من الطائرات كان يتشكل من أثني عشرة(12) طائرة في الطلعة الواحدة، وأن بطلي المعركة هما الشهيدان "سي رضوان" و"سي محمود".

أسباب المعركة: تصدرت هذه المعركة سلسلة مـــن المعارك خاضها جيش التحرير الوطني بنواحي معسكر، إلا أن هذه المعارك لم تكن بحجم معركة جبل المناور التـــي أعد لها الاستعمار قوات ضخمة من حيث العدد والعدة، كما أن نتائجها كانت هي الأخرى أكبر.

سبق هذه المعركة تنصيب كتيبة "سي رضوان" لكمين ضد وحدة من قوات الإستعمار بعين فارس[2]، على بعد عشر (10) كلم شمال شرقي معسكر، حقق فيه المجاهدون إنتصارا على عدوهم، وإنسحبوا إلى دوار "أولاد علي" (دائرة تغنيف)، ليأخذوا قسطا من الراحة، ومنه شقوا طريقهم باتجاه دوار "العماريش"، بعرش "حبوشة" (دائة البرج) حيث يوجد مركز لجيش التحرير الوطني، يشرف عليه مناضل يدعى "عبد القادر ولد الحاج"، لقضاء ليلتهم هناك، وفي هذه الأثناء لحقت بكتيبة "سي رضوان" التابعة للمنطقة الرابعة وكتيبة "سي محمود" التابعة للمنطقة السادسة والمشكلة من فصيلتين اثنتين فقط، وللإشارة فأن كتيبة "سي رضوان" كانت تتألف من ثلاثة فصائل يقود الأولى المدعو (سليمان) والثانية المدعو سعيد، والثالثة (عبد القادر الشرقي).

وبعد حديث جرى بين القائدين غير "سي رضوان" وجهته نحو وادي مينا، وتغيير الخطة جاء بناء على طلب "سي محمود" من "سي رضوان" الإبقاء على فصائله بهذا المركز لتقديم المساعدة والدعم لكتيبته التي تعتزم تنصيب كمين لقوات العدو بطريق فرطاسة الواقعة بين وادي الأبطال وغيليزان.

وحسب شهود عيان، فإن السبب المباشر للمعركة يعود إلى وشاية من أحد الأشخاص– يسكن بالناحية– سبق للثورة أن نفذت حكم الإعدام في حق أبيه،

الأمر الذي جعله يحقد على الثورة ويتحين الفرص للإنتقام من الثوار، وكان المجاهدون قد غنموا في معركة عين فارس مدفعا رشاشا من نوع "30 أمريكان" مصابا بعطب، فبعث به "سي محمود" مع أحد المدنيين إلى هذا الشخص لإصلاحه لكونه ورث حرفة تصليح الأسلحة من أبيه الذي إغتالته الثورة، فأظهر الخائن حماسا في التعامل مع المجاهدين وأبدى رغبة في إصلاح المدافع بسرعة، وأستغل الفرصة لإبلاغ القوات الإستعمارية الفرنسية بمكان تواجد المجاهدين، فجمع المستعمر قواته، واستدعى وحدات مقاتلة من كل جهات غرب البلاد إستعدادا لمحاصرة المنطقة واحتواء جيش التحرير الوطني والقضاء على المجاهدين، وجند لهذه العملية أكثر من عشرين (20) ألف عسكري مدعمين بالطائرات المقاتلة و المزنجرات.

ومع فجر يوم الخميس 1957/09/05 كان الحصار مضروبا على المنطقة وعند طلوع الشمس حلقت فـــي السماء طائرات من نوع (ت06) وطائرات عمودية وشوهد تقدم لجنود الإستعمار بإتجاه مواقع تواجد الثوار، وفي هذه الأثناء جاءت إمرأة من نساء القرية إلى المجاهدين تخبرهم بوصول جنود العدو ومحاصرتهم للمركز من كل الجهات[3] فعندئذ قرر "سي رضوان " مغادرة المركز إلى جبل المناور الذي يبعد بحوالي إثني عشرة (12) كلم إلى الجنوب، وأخر كلمة قالها وهو يغادره: "ويلي ويلي هذا نهار مكحله علينا، نطلب السماح من بعضنا والملاقاة في أولاد عيسى[4] "وهو دوار يقرب من عين منصور، يقع جنوب مكان الموقعة، وبه مركز للثورة يشرف عليه مناضل يدعى "بلبنة محمد"، وبينما كان جيش التحرير الوطني يعتزم مغادرة المركز، بدأت طائرات العدو تمطر قنابلها علي القرية، مما تسبب في هلاك الكثير من المدنيين، وتدمير بيوتهم وقتل حيواناتهم و إتلاف مزارعهم.

سير المعركة وخطة الحرب: رغم القصف الشديد والمكثف، فقد تمكن لمجاهدون من الوصول إلى قمة جبل المناور بعد ساعتين من السير، وأخذوا مواقعهم إستعدادا للقتال، وهم كذالك، فإذا بمجموعة من المجاهدين تصطدم مع وحدة من جنود الاستعمار من أصل سنغالي عند منحدر الجبل، حققت عليها نصرا وأوقعت بها خسائر في

الأرواح، وأتت على أغلب أفرادها، الأمر الذي استدعى استعجال الطيران للتدخل، فبدأت أسراب الطائرات تحلق فوق ميدان المعركة في طلعات متتالية، كما تدخل سلاح المدفعية الثقيلة بقصف مكثف ومركز، وتحت التغطية الجوية والبرية للنيران كانت قوات الاستعمار تحاول التقدم باتجاه قمة الجبل[5] لكن دون جدوى، بسبب تكثيف المجاهدين لضرباتهم المسددة باتجاه جنود العدو.

وفي حدود الساعة الواحدة زوالا من يوم 1957/09/05 أطلــق سي رضوان النار على طائرة عمودية فأسقطها، فهلك جميع ركابها الذين كان من بينهم ضابط برتبة عقيد، فتمكن الخوف من نفوس عساكر الاستعمار وانهارت معنوياتهم، وسادت الفوضى صفوفهم، وبدأوا في الانحسار والتراجع، ولم يتمكنوا من تسلق الجبل وإختراق دفاعات جيش التحرير الوطني.

وعلي الساعة الرابعة مساء قامت الطائرات العمودية بعملية إنزال جوي لقوات المضليين، والتحم الجيشان في قتال شرس جسدا لجسد، أستخدم فيه السلاح الأبيض، ومع آخر النهار أقدم الطيران على قصف مواقع المجاهدين بقذائف النابالم المحرقة، فأصيب العديد من أفراد جيش التحرير بتشوهات جسدية، ومن بينهم سي رضوان الذي أتلفت بعض أعضائه، ومع هذا، فإن القتال تواصل حتى الساعة الواحدة ليلا، حيث استمرت المعركة تحت الأضواء الكاشفة التي كانت تطلقها طائرات الهيليكوبتر من الجو لتضيء أرض الميدان، وفي الأخير تمكن من بقي حيا من المجاهدين من فك الحصار.

نتائج المعركة: حسب شهادات المجاهدين[6]، فإن خسائر العدو تمثلت في القضاء على حوالي 650 عسكري وجرح عدد آخر، حيث استمر العدو في نقل الجثث من ميدان المعركة لعدة أيام، وإصابة سبعة عشر طائرة، سقط منها علي أرض المعركة ست طائرات، منها: عمودية، وقاذفة من نوع "ب 26 ميستر" و"جاغوار"، و"كشافة"، إضافة إلى إصابة الكثير من الآليات، أما خسائر جيش التحرير الوطني فتمثلت في إستشهاد تسعة وستين مجاهدا وعشرة مدنيين، وإصابة ثلاثة وعشرين بجروح أغلبها بفعل قذائف النابالم.

وفي حين تمكن باقي مقاتلي جيش التحرير الوطني من الإفلات من الحصار فإن "سي رضوان " الذي نقله جنوده إلى دوار " العناترة " بضواحي غليزان وقع في قبضة الفرقة الإدارية المتخصصة بعد أن أوعز إلى جنوده بمغادرة المكان وتركه لوحده، ولولا الوشاية ما كان العدو ليعلم بوجوده، فنقل إلى مستشفى سيدي أحمد بن عودة ليتلقى العلاج، لكنه توفي بعد خمسة عشرة(15) يوما[7].

وحسب جردتي "صدى وهران Echo d"Oran و"وهران الجمهوري Oran) (République" ليوم 57/09/07 فإن الحصيلة النهائية لخسائر المجاهدين تمثلت في مقتل مئة وستة (106) مجاهد وأسر ثمانية (08) آخرين، وغنم ستة وخمسين (56) قطعة حربية منها:

- 02 بندقية رشاشة من نوع 30 مم .
- 01 بندقية رشاشة.
- 29 بندقية حربية.
- 16 بندقية صيد.
- 05 مسدسات رشاشة.
- 01 بندقية آلية.
- راية تحمل الألوان الجزائرية.
- ذخائر حربية ووثائق هامة ومختلفة[8].

وفي حين لم تتعرض جريدة" صدى وهران" للخسائر البشرية من جانب الفرنسي، فإن جريدة" وهران الجمهوري" قدرت الخسائر البشرية بأربعة قتلى من بينهم ضابط ملاحظ، وملازم أول في سلاح المدفعية، وواحد وعشرون جريحا.

ويبدو جليا أن السلطات الاستعمارية الفرنسية قد تحفظت في ذكر العدد الحقيقي لخسائرها البشرية والمادية في هذه المعركة حتى لاتؤثر على معنويات مجنديها، وحسب شهود عيان فإن فرنسا ظلت لمدة أيام تنتشل جثث ضحاياها من ميدان المعركة[9].

وعلى الرغم من اتخاذ سلطات الاحتلال للحيطة والحذر للحيولة دون انتشار أخبار نتائج المعركة[10] فإن معلوماتها قد غطت مجالات جغرافية واسعة داخل البلاد وخارجها[11].

نتج عن هذه المعركة تغيير للخريطة العسكرية الفرنسية في دائرة معسكر[12] وإعلان المناطق المجاورة لجبل المناور منعزلة.واتهمت سكانها، وحرمتهم من الخدمات الاجتماعية وانتزعت منهم بطاقات تعريفهم وسلمتهم بدلها أوامر بالمرور.

وبقدر ما رفعت معركة جبل المناور رأس جيش التحرير الوطني، وفتحت أعين المجاهدين إلى المزيد من الانتصارات، فإنها أحبطت من معنويات مجندي اللفيف الأجنبي وزعزعت اطمئنانهم حيث سلك البعض منهم طريق الفرار والإلتحاق بجيش التحرير الوطني[13] وإنتحار البعض الآخر منهم[14].

سر انتصار المجاهدين في هذه المعركة: يعزى انتصار المجاهدين في هذه المعركة إلى عوامل منها:

1– حسن استغلال فصائل جيش التحرير الوطني للمجال الجغرافي عن طريق جر الخصم نحو مواقع طبيعية تفرض على المقاتلين الفرنسيين مجهودات حربية مكلفة بشريا وماديا سماها جيش التحرير بنقاط الجذب وهذا ليضمن لنفسه الدوام ومواصلة الحرب.

2– اعتماد جيش التحرير الوطني على حرب العصابات،وعلى تكتيك حربي عملي يتكيف مع ظروف القتال ويتغير بسرعة من الموقف الهجومي إلى الموقف الدفاعي بعيدا عن أساليب الحرب الكلاسيكية وحرب المواجهات المباشرة، آخذا في الحسبان ضعف التجهيز وقلة العدد.

3– نوعية القيادة الرشيدة، والتخطيط المحكم، إضافة إلى تمتع المجاهدين بالإرتفاع الهائل للروح المعنوية والقتالية، وبشدة الانضباط، والتعبئة الدائمة، والتنفيذ الدقيق والصارم لأوامر القيادة وتعليماتها والتحلي بالصبر الشديد، والثبات على تحمل الأذى بشكل تجاوز الحدود، مقابل وحدات عسكرية أغلبها قادم من الهند الصينية ومن تشكيلات مرتزقة اللفيف الأجنبي والطوابير السنغالية وفي حالة نفسية وفيزيائية خاصة.

4– التسلح الجيد لكتائب جيش التحرير الوطني، وامتلاكها لقطع حربية مكنتها من إسقاط طائرات وتدمير آليات حربية ضخمة، الأمر الذي أرغم طائرات العدو على التحليق فوق ميدان المعركة على ارتفاعات عالية، كثيرا ما أفقدها دقة التصويب.

5–الاستعداد الدائم والتحسب المستمر لأي طارئ أو مفاجأة،لأن معظم المعارك كانت فجائية، غالبا ما تحدث إثر تمشيط أو حصار أو نتيجة كمائن نصبها أحد الجيشين للآخر، أو نتيجة وشاية أدت إلـــى اشتباكات تحولت إلى معارك كبرى ...

ونظرا لما تركته معركة جبل المناور من وقع في نفوس المواطنين، فقد تغنى بها الكثير من شعراء الملحون، وإليكم بعض الأبيات من منظومة طويلة حول هذه المعركة تنسب إلى الشيخ فضيل بن عودة المتوفى سنة 1985.

نبدأ باسم الله رب العالميـــــن نحكي في ذا اليوم ما شافت لعيـــان
نخبركم ما صار بقوم الكافرين أربعين مئة تسلحت مـــن الخزيـــان
بمدافع والشار وسواحق آخرين والطائرات في السما تحسب عقبان
من حسبهم قـــال ستة وثلاثين حلفيين وفرنسيين وعرب وسليغان
عديان الله جات من كل مكان لبست الأرض بجيـــش الكافريـــن
الأمة تطلب أنصرنا يا رحمن هذا اليوم أصـــعب على المجاهدين
جابوا جـــنرال، أنظر بالعيتان صاب السيد محمود والسيد رضوان
في جيشه مئة وواحـــد وخمسين جميع اللي يقول هذا الخلق منيـــن
من دم الكـــفار الأرض أروات ستـــة مئة مـــوتى وقيل خمسيـــن
ما أعتاها غزوة على الـــسادات في نجع أحبوشة أهـــل العمـــدا
في صفر يوم خميس أصـــــرات قبل صلاة الفجتر الضرب أبـــدا
من جيش الكفار الأرض كسات سلـــم قبطان وطبـــاع للصـــــدة
في وطن أحبوشة النـــار اقدات صـــدوا الأبطـــال عمدوا لعـــدا

سي محمود يقول إلى الأمام لا تلفات في ذا اليوم اللي اندمـوا لعـدا
ذاك اليـوم رجـال اتـوفات أرحم يـا رب الـشـهذا[15]

الهوامـــش:

(1) – جبل المناور هو الحد الطبيعي الفاصل بين المنطقتين الرابعة و السادسة من الولاية الخامسة التاريخية, يعلو عن سطح البحر بـ 697 م. توجد بأعلى هذا الجبل مقبرة إسلامية قديمة, و مسجد تحت أرض كان في الأصل مغارة. تلقي عند هذا المعلم الجبلي الحدود الإدارية المشتركة لبلديات وادي الأبطال, سيدي عبد الجبار,و المناور الواقعة جميعها في تراب ولاية معسكر, و سيدي أحمد بن عودة التابعة لولاية غيليزان.

(2) « Echo d'Oran » et « Oran Republicain » du jeudi 05/09/1957, p06

(3) – جبهة التحرير الوطني، المنظمة الوطنية للمجاهدين. من معارك ثورة التحرير, عدد خاص بمناسبة الذكرى العشرون لثورة 1954/11/01، منشورات قسم الإعلام : ص 215 .

(4) – نفس المرجع, نفس الصفحة،

(5)– حسب المعلومات التي أوردتها جريدة "صدى وهران" (Echo d'Oran) ليوم 1957/09/07 فـــإن المعـــركة التـــي جرت وقائعها بين وادي المالح و جبل المناور يومي الخميس و الجمعة 05 و 1957/09/06 ضمن محيط 40 كلم^2 , قد شاركت فيها الوحدات القتالية لقسم معسكر المشكلة من الفيلق 19 و 20 للقناصة الراجليـــــن (19 et 20^{éme} B.C.P)و الفيلق الثاني للمجموعة 24،(2/24eme R.A) و الفيلق الأول للمجموعة 25 (1/25 R.A.T) لمدفعيـــــــة الميدان, و قوات الفيلق الثاني لمجموعة السبايس الجزائريين بالمجموعة (2/9eme R.S.A) المدعمـــة بالمجموعـــة 21 للرمـــات الجزائريين (21 R.T.A)، و الفيلق الثالث للمجموعة 24 للمدفعية (3/24 R.A) تحت قيادة العقيد " دوبيانلي" (Depianelli) قائد نصف اللواء الثامن.

(6) – أنظر أسماء المجاهدين الذين أدلوا بشهادتهم حول موقعة جبل المناور في : المنظمة الوطنية للمجاهدين. من معارك ثورة التحرير, عدد صدر بمناسبة الذكرى العشرون لثورة 1954/11/1, ص 211.

(7) – نفس المرجع،ص 218.

(8)– Echo D'Oran 07/09/1957

(9)– الملاحظ فإن فحص سجلات وفيات العسكريين بالمستشفى العسكري القديم بمعسكر لم يسمح بالتعرف على حصيلة القتلى أثر هذه المعركة باستثناء ذكر ثلاثة قتلى فقط في الجانب الفرنسي احتفظ المستشفى بجثثهم في قاعة حفظ الجثث ممن سقطوا في معركة مناور أنظر:

(Registre des décès militaires Français, archives de l'ancien hôpital de Mascara)

-(10)**Cour d'appel d'Oran, Circulaire n°86 du 02/10/1957** .

(**11**)- في الحروب الثورية قدلا تهم أسباب المعركة و أدوارها بقدر ماتهم نتائجها و إنعكاساتها النفسية و تناقل و سائل الإعلام لأصدائها .

-(**12**) **François Porteu de la Morandière, Soldats du Djebel, (les grandes unités de la guerre d'Algérie), Paris 1977, pp 661-373**

(**13**)- عبد الكريم حساني. أمواج الخفاء, منشورات المتحف الوطني للمجاهد, **1995**, ص **39**.

(**14**) - بن داهة عـــدة. مساهمات معسكر و ضواحيها في مجهود ثورة **1** نوفمبر **1954**, رسالة ماجستير, قسم التاريخ, جامعة وهران السنة الجامعية : **2000 – 2001**, ص **111**.

(**15**)- محفوضات مديرية المجاهدين لولاية معسكر، مصلحة التراث التاريخي و الثقافي.

التاريخ الإسلامي